

الدكتاتورية تقوم على السكوت العام..

كيف تمارس السلطة؟ مثال من تونس

كم من «خط» لتخريب البضائع المتنوعة، وللتهرب من الضرائب في المنطقة. بين اليمن والسعودية، الى العراق بشقيه العربي والكردي باتجاه الأردن وسوريا وتركيا وايران ومنها جميعها اليه، مرورا بسوريا ولبنان والاتجاهين، وانتهاء بمصر وغزة، ثم مصر وليبيا، ثم عوالم كالسودان والجزائر والمغرب وموريتانيا، إن لم نذكر الصومال، في أبعادها البينية، وفي تلك التي تدور مع أفريقيا السوداء... هناك «خط» في كل مكان، وهو جزء هام من ممارسة السلطة، ومن آليات تحكمها الاقتصادي والسياسي، يعكس ما تقول ظواهر الأشياء ويدعي اصحاب الشأن رسمياً. والنص التالي يعني كل تلك الاماكن، ويحاكيها جميعاً.

ثمة اعتقاد سائد أن الاقتصاد الموازي، أي ذلك الذي لا يخضع للتنظيم من قبل الدولة، هو حتماً خارج سلطتها. وهذا التصور المبني على حصر تعامل الدولة مع الظواهر الاقتصادية على أساس القانون، يهمل البراماتية التي ميزت الممارسة اليومية للسلطة في الأنظمة الاستبدادية، والقائمة على الرشوة والربوينة. وليس المصود الارتكابات الفردية الحضور، بل إشارة تستهدف علاقة السلطة بهذا الاقتصاد كليات حكم وهيمنة أساسية. إن فهم تخامى ظاهرة التجارة الحدودية مثلا يستدعي في جانب كبير تحليل وتفكيك ميكانيزمات إدارة الاقتصاد الموازي في ظل الديكتاتورية.

تجارة «الخط»:

جغرافيا اقتصادية على هامش الدولة

لا يستعمل الفاعلون العاملون في التجارة الحدودية القائمة على التهرب الجمركي مصطلح الاقتصاد الموازي أو غير الرسمي للدلالة على نشاطهم، بل يفضلون تعبير تجارة «الخط»، و«الخط» في بعده المادي هو الطريق العابرة للحدود بين تونس وليبيا، والتي تمر عبر معبر رأس جدير ومدينة بن قردان الحدودية. غير أن «الخط» أبعد من ذلك، إذ يرمز إلى أنشطة اقتصادية على هامش القانون، كتجارة الحروقات ونقل وتوزيع السلع الصينية المصدرة من ليبيا، والتي يتولى توزيعها الآلاف من صغار التجار على كامل التراب التونسي. نشأ «الخط» من رحم الضرورة في أواخر ثمانينات القرن الماضي، إبان الحظر المفروض على الجمهرية، قبل أن يتوسع ليصير المصدر الأساسي للعيش لسكان المناطق الحدودية المهضمة وطريقاً للثروة لأقلية متنفذة. وانتهى باكتساب مشروعية لا تعترف بالتصنيفات القانونية للانشطة البشرية. يندرج «الخط» بهذا المعنى ضمن جغرافيا اقتصادية غير مسجلة في سجلات الدولة ولا على خرائطها، رغم مركزيتها في حياة الناس اليومية. تقوم تجارة الخط على خلق هامش الربح عبر

استغلال تباين النظم الجبائية بين جانبي الحدود، خصوصا وأن السلطات الليبية طالما اعتمدت خيارات اقتصادية قائمة على دعم السلع الأساسية وعلى غياب الجبائية على عمليات التوريد. إلا أن تحقيق وتأمين الأرباح في هذه التجارة يتجاوز المسألة الاقتصادية وميكانيزمات العرض والطلب ليرتبط أساسا بقدرة تجار الحدود على ترويض أجهزة الرقابة الأمنية والجمركية المكلفة بحماية التجارة الوازية.

«البرنامج»: طريقة لترويض السلطة

عندما تجمع الأرباح وتراكم الثروات على هامش القانون، فإن تأمين الحماية يصبح العاجز الأساسي لمن يعيشون ويعتاشون من الهوامش. يعرف بطل رواية حسين الواد «سعاده... السيد الوزير» ذلك جيدا عندما يقول مخاطبا الحاكم ومن ورائه القاري: «أنت تعرف أكثر مني، سيدي الحاكم، أن حكومتنا اليازة بالواطين، حكومة دولة القانون يجري على جميع الرقاب، لا تحاسب السارق إلا إذا رغبت في تقديده جلده. تتركه يسرق ويفسد، ترخي له العنان، وتسجل عليه، فإذا خطى خطا من الخطوط الحمراء التي لا تعرفها إلا حكومتنا، ولم يتدارك نفسه بالسرعة بالإنطاج، أو لم يؤلم للفرش الضارية، فتكت به أجهزة المراقبة المالية والضرائب فتكاه.

كيف يتقن تجار الحدود خطر السلطة؟ ببساطة، بالإحتماء بها. في تجارة الخط، كل تاجر يسعى لشراء حماية الضباط والأعوان المسؤولين عن المبر والتشترين على طول الطريق مقابل عمولة هي أشبه بالأتاوة. يطلق على هذه العمولة اسم «البرنامج»، إذ هي فعلا برنامج لتأمين العبور دون تفتيش أو مصادرة للبضائع، وبرنامج حماية ضد تفتيش القانون. تصعب التجارة بدون «برنامج» ضربا من المخاطرة بالنفس وبرأس المال، وتقوم السلطة بالفرض بين من احتماوا بها ومن لم يفعلوا، وهم في الغالب من اللاهئين وراء رغيف الخبز لمن لا يقبل لهم يدفع هذه العمولات. تتغلغل السلطة في نميا الأنشطة الاقتصادية وفي تفاصيل الحياة اليومية للناس عندما يطرُق بابها

«رمضانهم»، نصوص تستذكر الصيام أو ترويه وفق ما يحلو لكل كاتب. «إضحك لتهمضم جيدا» من المغرب، وأرسين لوبين لقتل قيظ البصرة. «فكرة» عن مخطط «برافر» في فلسطين.

كيف ترى إسرائيل الحدث المصري؟ رصد يكشف ما يجمع مواقف الناس والكتاب والسياسيين، بين التعالي والخوف. ومدينة الزرقاء في الأردن، من جاذبة إلى طاردة.

متابعة لقضية التعليم بالغة الأهمية في المنطقة، هنا فلسطينيو 1948 في الجامعات الإسرائيلية، حيث يخضعون لرؤية مستعمرهم... الذين لا «يرونهم»، أي أنهم يحولونهم إلى مخفيين، أو مغنيين.

قلمة بالامتيازات، كلما تضاءلت قدرته على شراء الولاءات. وبالنظر لهذا الوضع، لم يكن غريبا إذا عجز الحزب عن الحشد لإنقاذ النظام إبان أحداث الثورة، رغم المليون منخرط الذين ضمهم في صفوفه. الواقع أن فئات واسعة انخرطت في الحزب من باب انتقاء لشهرة وطمعا في ما قد تجود به عليهم السلطة. رفع الناس شعارات النظام وعلقوا صور رئيسه في محلاتهم ومكاتبهم، لكنهم سرعان ما انقضوا من حوله ولم يدافعوا عنه. لا يمكن اختصار المسألة في الانتهازية. هي أساسا مرتبطة بطريقة عيش منضبطة تحت الديكتاتورية يحترم الناس فيها طقوس الطاعة، يصدقون بأيات الشكر والإمتنان لسيادته، يؤمنون للمتنفذين ويجعلون من أولويات النظام خطوطا حمراء ينضبط إليها. ينضبط المجتمع ويعم السكوت. «لا تحاسب الدولة على الولاء بل على السكوت العمومي»، كما يقول الكاتب فتيحي المسكيني.

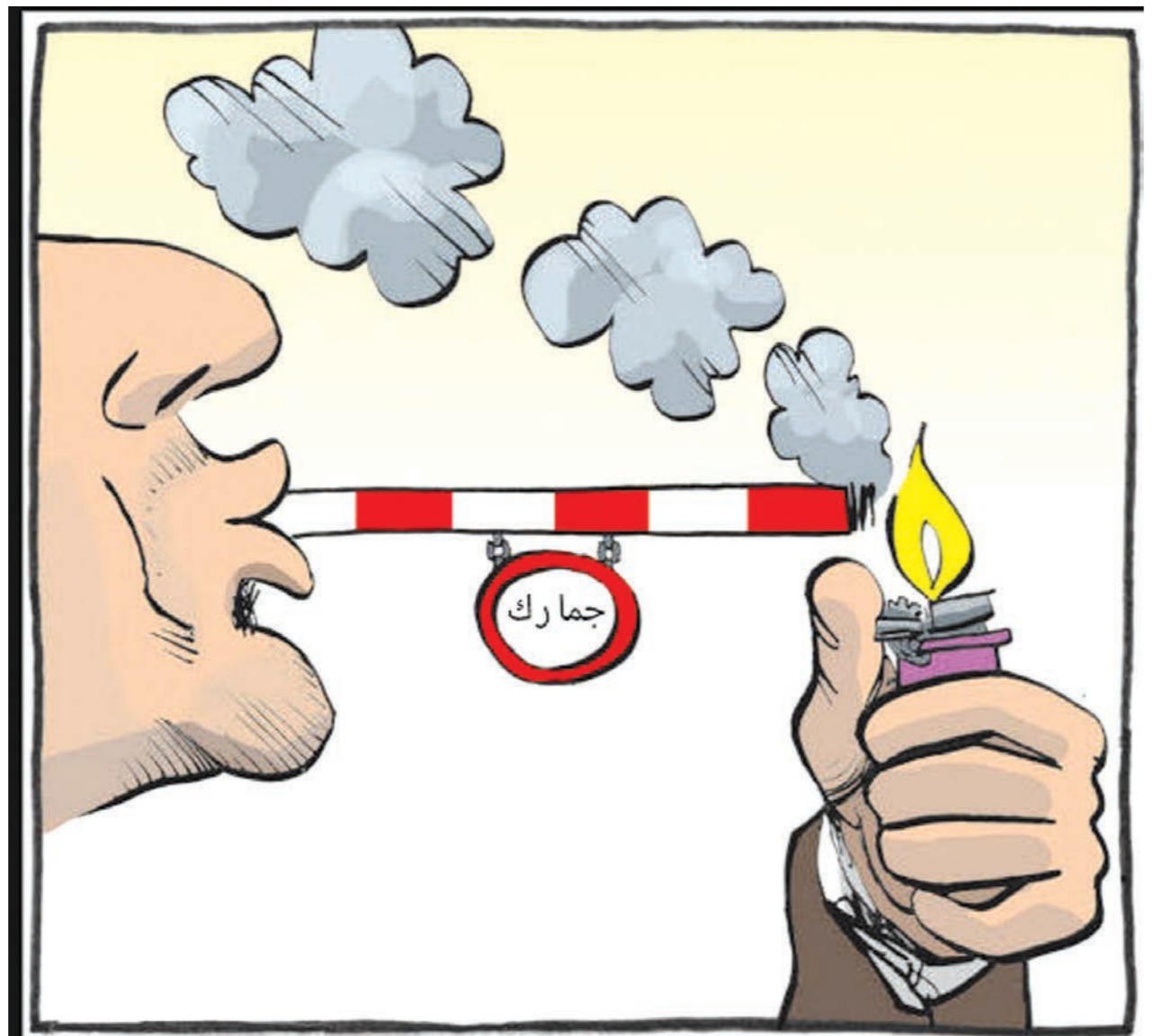
ما تكشفه الهوامش

لم تكن ديكتاتورية بين علي قائمة على الولاء، بل على الأطماع الصغيرة، والجبن، والخوف على رغيف الخبز من الابتزاز، والنأي بالنفس عن الشبهات، والبحث عن الحماية، والكثير من السكوت. وإذا ما كان للعدالة الانتقالية أن تحاكم، فعليها أن تحاكم السكوت، ومن ورائه المتسكفون والوصوليون والانتهازيون والطامعون، والمتسكفون الذين تعلقوا بحبال السلطة ووقعوا في شركها. نتذكر أنه «إن كان لا بد من طرح سؤال حول السلطة، فلنكن كيف نمارس السلطة، عوضا عن لماذا». بهذا المعنى، فإن تفكيك ميكانيزمات الرشوة والربوينة في الاقتصاد الموازي يندرج ضمن محاولة فهم الآليات اليومية لممارسة السلطة. ففي الهوامش عادة ما يتجلى الوجه الحقيقي للسلطة، بعيدا عن الفئاضات العقيمة (رسمي/ غير رسمي، قانوني/ غير قانوني...) وبعيدا عن الهرج الذي تغطي به الدولة تسلطها وفسادها.

من خلال دراسة الهوامش نفهم أن الثورة ليست مجرد انتفاضة على الحكم، بل هي أساسا وليدة أزمة حكم قائم على الفرز على أساس الرشوة والربوينة والمسوبية. تغيير الحكم لن يغير شيئا ما لم تتغير طريقة الحكم، والاقتصاد السياسي الذي تستند إليه.

حصرة المؤبد

باحث متخصص في الاقتصاد السياسي، معهد الدراسات السياسية بباريس.



(من الإنترنت)

للحزب وسيلة لتحقيق مكاسب مادية. التفتت أطماع المسؤولين الحزبيين مع انتهازية المنخرطين عندما تحولت هذه التراخيص تدريجيا من آلية لضمان ولاء العاطفين إلى وسيلة إثراء للمسؤولين، عبر بيعها لمسؤولين أو مكافأة أشخاص قادرين على إسداء خدمات خاصة لهم. لخصت هذه التراخيص نقاط ضعف الماكينة الحزبية للسلطة، فعلاوة على فساد المسؤولين الحزبيين فقد ارتبطت قدرتها على حشد الدعم بقدرتها على توزيع الامتيازات المادية والسلطة في غياب الرابط الإيديولوجي. كلما تقلصت قدرة النظام الإيثائية أو استأثرت

توزيع البضائع إلى مختلف أنحاء البلاد. صار تنظي هذه الرحلات أمرا مريا للكثيرين الذين سعوا للحصول على تراخيص من الشعب المحلي لتتجمع الدستوري الديمقراطي، الحزب الحاكم النحل، لممارسة هذا النشاط وتفادي مصادرة البضائع من قبل أجهزة الرقابة. تجددت ماكينة التوزيع هذه على إسداء خدمات لنطاق الحزبية مع التراخيص. تعاملت السلطة ببراغماتية مع الحزبيين فقد وجدت فيها فرصة لشراء الذمم ومكافأة المنخرطين والتمسك بالسلطة والمخبرين. وتعامل المنخرطون بانتهازية من هذا التوجه، إذ أضحي الانضمام

الطامحون والساعون للربح والترقي والصعود، وتصبح الدولة التي تحمي هي نفسها التي تنتز باسم القانون.

زبونية الحزب الحاكم

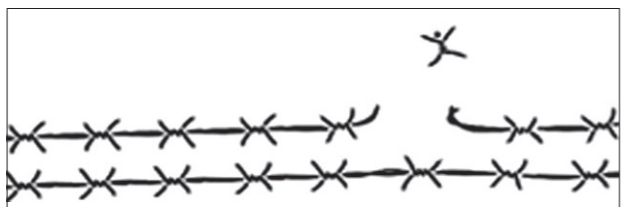
لقد كان لتراجع الخدمات الاجتماعية للدولة ودورها في التشغيل، بفعل السياسة الليبرالية المعتمدة، الأثر الكبير في إقبال أعداد كبيرة من المعاطلين والفئات ذات الدخل المحدود على التجارة الوازية، إذ أصبح تنظي الرحلات التجارية باتجاه مدينة بن قردان أحد عوامل توسع رقعة تجارة الخط وإستداد شبكات

الرقص في عرس الأم

في الحديقة، تحمى السيدة الكردية النازجة من حي الشيخ مقصود الغربي، كيبسا بلاستيكا ملونا وتدخل به دورة الماء القريبة، لتخرج بعد دقائق مرتدية بأناقته منامتها السماوية المرفقة بهيزات بايونج كحلبة متسقة مع أرضية القماش الموثنة. تضع حذاءها قرب حقيبتها الجلدية وكأنها في غرفة نومها، قبل أن تجثو وتتكور فوق الغطاء الصيني السميك المدد فوق العشب، بين وليدها اللذين انتظروا عودتها بجذعيهما المنحنيين كسنجابيين مذعورين، يلتصقان بها قبل أن يغيبوا جميعا تحت الغطاء الثقيل الغامق، فبرسم الحقيبة الجلدية السوداء مركونة على بطنها تستند عليها مجموعة من الأكياس البلاستيكية المنطوخة. في أواخر الليل تأتي القطة لتشمهم وتضي بعد التيقن أن لا شيء يؤكل فيها.

في الصباح يتلحق الأولاد، حول والدهم أسرتم... خفيفة. ويستحسن أن تحفظوا الكلام أمام الفضوليين والمتحولين سياسيا وفكريا، ولا بد لكم من عيتين مبصرتين تحذفان في عمق الأشياء، ومن عقد أخلاقي لا يحنث قسمه مع الشعب الناثر والحقيقة.

يحصل كل ما لا تتوقعونه من مظاهر لا يكتب عنها في جنون الوقائع الدموية، رجال يذكرون نساءهم بطوائفهم الانتحارية، ونساء يدسبن السم لأزواجهن بعد اكتشاف دورهم في التشبيح، طلاقات بائنة، أقدمات سعلت على الانتحار للتخلص من حزمة شروط أشد انتحارية، ترفضها حالات التعايش بين أناس باتت كل المؤشرات تؤكد استحالة تعايشهم، أصدقاء يشيدون



في فن التطبيل

مصر اليوم على الوضعة. كل شاشات التلفزة منشغلة بها، وهي تحل كل عناوين الصحف. ويتخذون للعقول بإطلاق أسلحتهم «الجوهري»، بينما يتزاحم الضيوف لتفحص الموقف بجديّة على أنهم في الغالب يجهرن براءه مبلية، وكأنا بديهيات. الى متى ستبقى مصر على الوضعة؟ يومان أخران، أسبوعان أو شهران... ثم تزيعها أحداث خطيرة في مكان ما من المنطقة النكوبة، وهكذا. تسمرنا أمام التلفزيون يوم أحل العراق، وقيل للاحتلال، لمن لا زال يذكر، في غزوه الكويت، ثم أثناء الحرب العالمية التي شنت عليه. ودهشنا منذ سنتين لخروج مئات آلاف السوريين في مسيرات سلمية. من زال يذكر؟ مكذبين توفقات الجميع، وعلى رأسهم نخبة سورية لم تر أبدا الأتي، ولكنها ما أن حدث حتى بدأت تتكلم وتقبض، تعد وتوعد، ثم تنضب نفسها ناطقا وقائدا... ورحنا نتألف مع الخراب المغم والمرح، متبادلين التهم حول من هو أكثر وحشية، النظام أم معارضته المكزسة. وقيل هذه وتلك، ورفقتها، كانت فلسطين، تلك التي تغنى بها ياسر رومانسي ينشئ بتخل ضمني عنها أو يأس دفين مها، وكل ذلك بأقصى الحماسة والقطعية. بأشد اليقين!

متى سننكر؟ نتوقف أمام حالنا نفلقها، مغادرين غريزة الانفعال الأجوو والعقيم، وسطوة منطق الغلبة العشائري والتصفوي الذي لا رجاء منه. مغادرين فرغ الطبول، ليس تأديا ولا رفعة أخلاق، بل توحيا لنتيجة ما، للغالبية، متى سيقفنا حالنا؟ جديا، فنشعر بالخطر مثلما يفعل مصاب بمرض يتطلب منه خطة علاج وإلا قضى. نستخلص من تجارنا ما ينبغي لنفينا في صوغ قناعاتنا، وفي اختيارنا المقلبة. فإن كان عامة الناس قد دفعهم ثلاثية الإفقار والتهميش والبيع التي تشتغل معا بقسوة منذ زمن، الى المرواحة بين الهياج والاستكانة، فما بال المتقنين والمتنطحين للقيادة يجرون وراءهم، مكتفين بإعادة صياغة ذلك الهياج، أو التنظير لتلك الاستكانة، ومضيفين في الحالاتين بهارات الانتهازية والتسلق وحسابات الذات.

خطة إنقاذ وطني. على مستوى المنطقة، وعلى مستوى كل بلد من بلدانها، المعيار القيمي في الحكم على هذا وذاك ليس ايدولوجيته ولا معتقداته، وليس بالأكيد «هوياته»، بل سيطرة هذا العاجس عليه، وبحجة عن سبل بلورة يستلزماته، وكل ما عدا ذلك نافل، ومضجر!

نهلة الشهال

– نعم، لكن ليس كسرقة محظفة معلم ابتدائي فور خروجه من بوابة غرفة المحاسبة، تبدأ سرقة الثورة بإطفاء النور في عينها.

خاير من بعيد ليحدث بإسهاب عن التفاؤل، كان يأمل وصول الضابط الكبير قبل صوارجه، ليتأكد من صوابية مكان سقوطها وانفجارها، وأثارها الحدودية، التي تقتصر على الكتابات المغاتلة التكريرية على وجه الخصوص، أو الألفة الضيقة، مكررا دون بصيرة أحدث تقنيات الإعلام الفاشي، وبخاير آخر ليتحدث عن الثورات كفنائيات شعرية... ومشاريع لتعلم الإنشاء السطحة في الصباح والدعوة لاتهامها كطيق مهلبية أول مساء.

لكن في حمة المشاغل اليومية، نسي إخبارهم أنه رغم وصول الشجاعة والتفاؤل، ما يزال العابرون إلى الحلامهم، مسكونين بخوف النظر إلى الأعلى، كي لا يتضايق سائق المروحية ومساعدوه ويتعبونهم بالرماض، وأنهم يسرون في الطريق التمرج ورووسهم منحنية إلى الأسفل، يعاينون الجلاط المهشم والإسفلت الفتت، ويعصمدموا من حين لآخر بأكتاف بعضهم، ليتبادلوا بعدها الاعتذارات.

لكن المتصلين يتفان من خلف البحار على النصيحة ذاتها: لا تنس حين يوشكون مهاجمة منطقة سكنك، من أن تكون مستعدا بوضع أسيالك الغيمية في حقيبة...

ولا يمهانه ليقول لهما: لم يبق عندي أشياء من التي تحسبونها ثمينة! والأشياء الأخرى التي لم تنهبها إلى ضرورة الإهتمام بها، وهي الثمينة حقا، لا توضع في حقائب.

عزيز تيسي

كاتب من سوريا



خلود سباعي - سوريا

ملف

«رمضانهم»

يتفاعل المغاربة مع حلول رمضان بحبوية. أهلا وسهلا بكم في هذه الساحة التي يكثُر فيها الدعاء والاستغفار من جهة، والمزاج الحلو بلغة العسل من جهة أخرى. بدأ مسلسل هذا العام عندما أعلنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عندنا أنها اتصلت بتظاّرها وبوحدات القوات المسلحة الملكية المساهمة في مراقبة الهلال، فأكدوا لها جميعا عدم ثبوت رؤيته، وعليه فإن شهر شعبان يكون قد استكمل الثلاثين يوما، ويكون فاتح شهر رمضان المعظم هو يوم الأربعاء. تساءل أحد الظرفاء: ولماذا لم يستكمل واحدا وثلاثين؟ رد عليه آخر أنه سيكمله إن شهد هلالا أخضر مضاء على باب صيدلية.

منذ اليوم الأول لرمضان اشتدت الحرارة، فاقترح بعضهم على وزارة الأوقاف أن تراقب الشمس لا الهلال. بينما زعم الرواة أن ذلك عقاب الهي. قديما كان العقاب الرياني يطير أبايبل وبالجراد والضفادع، والأذن بالطفُس. تعيش الأرض أكثر ستواتها حرارة، وتم اقتراح حل: أن يجري نقل شهر رمضان ليتزامن مع شهر يناير. وقد ظهرت شعارات مثل «الشتب يريد إسقاط اليقظ». تأثر البعض من الحرارة، وروي أن رجلا اعترف بأنه لولا المضمضة أثناء الوضوء لما أكمل صيام يومه.

بعد اليوم الأول، تكيف الناس مع الشر المتفاوتيزيقي وراحوا يبحثون عن النوادر. النادرة الأولى تأخر إعلان حركة «ما صايمينش» (أكلو رمضان) لموقفها بالإفطار نهارا جمارا، كما حصل في السنوات الماضية. مع الأسف، هاجر معظم نشطاء الحركة إلى الغرب. بعدها كتب الصحفي رشيد البلغيثي، وهو من «حركة 20 فبراير» عن حيلهـم ضد المنع الحكومي وضد ذويمه. وقد استجوب الصحافي عددا منهم وأعطاهم أسماء مستعارة لحمايتهم. صرحوا أنهم يعمدون إلى تخزين الأكل والسجائر في غرفهم. شابة منهم تزعم أن لديها عادة شهرية لا تنتهي. شاب يحرض على إغلاق النوافذ أمام عيون الفضوليين المفتوحة. لكن رائحة السجائر والشاي المنمنع تكون نفاذة في رمضان

تنشر بدءاً من هذا العدد نصوصاً حرة، ذاتية أو سوسيوولوجية، عن رمضان. ولكن هل حقاً ثمة فارق بين النوعين؟ منذ سنة بالتمام، قدمت السفير العربي، وكانت في بداياتها، وصفات لإفطار من مختلف بلدان المنطقة، يمكن مراجعتها على موقعنا http://arabi.assafir.com/articles.asp?tag=14. وكانت تقصد بذا

اضحك لتهضم جيداً في رمضان

وتكشف... تساءل مُعلق كيف يسجن المفطر ستة أشهر بينما لا يعاقب تارك الصلاة، وهي عماد الدين؟ للإشارة، يُعد أعضاء «وكالين رمضان» على رؤوس الأصابع، ويغيرون جدلا أكثر من حجمهم في الصحف التي لا تجد ما تقدمه لقرائها كل صباح.
بدل السجن، يمكن للمفطر أداء كفارة. كتب صحافي على صفحته في الفايسبوك أن من أفطر يوما عمدا بإمكانه إطعام ستين صحافيا، أما من أفطر شهرا فعليه إطعام الصين.
بعد ذلك انتقل المُنتقون من غير المُؤمنين إلى المُؤمنين الموسمين: ففي رمضان يكثُر الذين يؤمنون فجأة. يحثون أنفسهم على غُض البصر لتجنب مشاريع الإفطار التي تمر أمامهم. يرددون جملة «إذا ابتليتُم بالمعاصي فاستترُوا»، وهم يعدون بالتعفف في كلامهم على أن يعودوا لاستخدام الشتائم المعتادة في عيد الفطر... يقول الناس إن ليس لهؤلاء من رمضان إلا الجوع، وجلهم يخشى المخلوق أكثر مما يخشى الخالق... وقد ذكّرهم الفايسبوك بعدد ركعات الصلوات الخمس... بعضهم يزيد إيمانه، لأن الإيمان يزيد الجوع. زعم فقهِه أن إيمانه يزداد في رمضان، فسأله أحدهم: إن كنت تصلي وتسلط عليك أسد هل تتابع صلاتك؟ أجاب الفقهِه طبعيا، إذا حافظت على الوضوء. في هذا الصيف الحار، يقضي جل الصائمين أيامهم في تأمل دلج رقائق الساعة. يشككون من ثقل الزمن. ومن باب الاستعجال يتساءلون كل يوم كم بقي لعيد الفطر؟

مع تقدم رمضان، تتعرض ميزانيات الأسر للإنهاك بسبب تزايد مصاريف التغذية. في رمضان تزيد الأسعار، ليس لأن السلع قلت بل لأن الناس يعتقدون أن الزيادات في رمضان طبيعية. ويركب التجار هذا الاعتقاد فيضاربون... السلعة الوحيدة التي يزداد سعرها بسبب شدة الاستهلاك هي الكرفس. يقال إنه مفيد جنسيا حتى في سن اليأس. ويرتفع ثمنه في رمضان لأن النساء يتعتمدن إكثاره في «الحريبة» (الحساء)، والهدية على الراوي، وهو رجل. ولكي لا يُفوت الساهمة في التنكيت الرمضاني، أفتى الشيخ

الإشارة إلى أهمية الطعام: ما تقوله خيارات مكوناته، وطريقة طهيهِ، والطقوس المحيطة بتدقيهِم والتعامه... أهميتها في البناء الاجتماعي، وفي نظام علاقاته، وفي دلالات كل «حركة»، يؤتى بها. وخلال هذا الرمضان، نستقبل السفير العربي مساهماتكم وتعليقاتكم حول هذا الموضوع المتع.

مواقع

شريكة / صديقة



«تونس بالأحمر»:

يسار أمي ضدّ الكليشيهات

من بين ما فعلته الانتفاضات العربية التي انطلقت من تونس، إعادة إحياء الأهل، ليس لدى الشعوب العربية فحسب، بل عند فئات واسعة في الغرب حتى. في هذا السياق، تأسس موقع Tunisia in red (تونس بالأحمر) فور سقوط نظام زين العابدين بن علي. تأسس حصل على يد 4 يساريين من إيطاليا وإسبانيا وتونس، ليكون الموقع منبراً إعلامياً إلكترونياً تشاركياً ينشر مواد خاصة، وينقل جزء كبير مما يكتب عن تونس ومحيطها في الصحف الغربية. موقع مادته متوفرة بلغات أربع (العربية، والفرنسية، والابطالية والإسبانية)، بهدف محاولة الحلول مكان النظرة النمطية التي تتبناها الصحف الغربية في تعاطيها مع الملف التونسي، لائحة «إعادة إنتاج الكليشيهات الاستشراقية حيال العالم الإسلامي». خلاصة أولى: أحد محفرات تأسيس الموقع، هو التوجّه إلى القراء الغربيين.

ولكن اسم من المؤسسين الأربعة، تاريخ نصالي يساري (وهذا أحد أسباب إدخال اللون الأحمر في اسم الموقع حسب البنية التعريفية للموقع)، تجتمع بينهم عوامل مشتركة عديدة، منها أنّ جميعهم مقيمون في تونس حالياً، وإن منذ فترات متفاوتة. عميد المقيمين في تونس هو الإيطالي ماريو ساي، الذي يعيش في هذا البلد منذ العام 1995، وهو أستاذ الأدب الإيطالي المعاصر في جامعة مئوية. يليه في الأقدمية سانتياغو ألبا ريكو، الكاتب الإسباني في الفلسفة والآنثروبولوجيا والسياسة المقيم في تونس منذ 14 عاماً، والذي كتب محرضاً ضد بن علي ونظامه طويلاً تحت اسم مستعار هو البندى الما. أما باتريسياس مانشيني، فهي ناشطة إيطالية يسارية في إطار مناهضة العنصرية، انتقلت لتعيش في هذا البلد العربي منذ نيسان/ أبريل 2011.

والتونسى الوحيد من بين مؤسسي الموقع، هو حمادي زربي، الذي أمضى جزءاً طويلاً من حياته بين بلجيكا وإيطاليا (حيث نشط في صفوف الحزب الشيوعي الإيطالي -إعادة التأسيس)، وعاد إلى بلاده الأم منذ العام 2011. أحد الملفات الميزة على الموقع، أرشيف لثورة 14 كانون الثاني/يناير، يجد فيه الزائر عددا كبيرا من المقالات والواد الصحافية التي كتّبت داخل تونس وخارجها (خصوصاً في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا) عن الثورة التي أطاحت بالنظام. على كل حال، فإنّ الأرشفة كتابيا وبالصوت والصورة لتاريخ تونس ما بعد «14 جانفي»، هي أحد الأسباب الرئيسية لتأسيس الموقع الإلكتروني. يمكن تلمّس مدى التزام Tunisia in red بقضايا العدالة الاجتماعية والتحرر ومقاومة الطغيان، من خلال استعراض المواقع العربية والأجنبية التي ينصح القميون على «تونس بالأحمر» بزيارتها. من بينها «جدلية»، و«نواة»، وموقع أخبار سيدي بوزيد...

لا تنحصر اهتمامات «تونس بالأحمر» بالشأن التونسي، إذ مثلاً، لا يزال الحدث المصري يفرض نفسه على الموقع منذ 30 حزيران/ يونيو الماضي وما تلاه وما ينتج عنه من تداعيات.

Tunisia in red موجود على «تويتر» و«فايسبوك»، لكن ليس بالزخم الذي يُفترض بين يعترف بأن وسائل التواصل الاجتماعي باتت إحدى أدوات النجاح في زمننا.

http://www.tunisia-in-red.org/

فكرة

«برافر» وبؤسنا الفلسطيني

كان يجب أن يقرب موعد تنفيذ مخطط برافر التهجيري بحق فلسطينيي النقب المحتلة، لكي نستعيد مشاهد من واقع بؤسنا الفلسطيني. قريبا، سيتم تهجير ما بين 30 و40 ألف فلسطيني من أرضهم البالغة مساحتها حوالي 800 ألف دونم، ليبقى لهم 240 دونما في النقب. قريبا، سيتم هدم 36 قرية في المنطقة. ليتم حصر أصحاب الأرض في منطقة لا تتجاوز 1 في المئة من المساحة الكاملة لذلك الجزء الصحراوي من فلسطين المحتلة، وهم (أهل النقب) الذين لا يزالون يشكلون 30 في المئة من سكانه. كل ذلك سيحصل بموجب مشروع قانون استيطاني لم يُسنّ سراً في أروقة الكنيست، بل يجري الإعداد له منذ أيام يبعين بالأصل. وقد مرّ أخيراً بالقراءة الأولى في البرلمان الإسرائيلي.

بؤس الواقع الفلسطيني إزاء مشروع تهجيري احتلالي بحجم «برافر»، يتجلى على مستويات عدة: التعبئة الشعبية والحزبية والأهلية ضد المشروع في الفترة الماضية كانت هزيلة، أكان في أراضي 48، أو في الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة، وغائب كلياً في العالم العربي، ما خلا بعض التجمعات في مخيمات اللجوء. أما غياب الموضوع بالحد المقبول عن الإعلام الأشهر (ما يقال له «ماين ستريم»)، فهو يختصر كارة النخب الفلسطينية والعربية. ومن يرى أنّ إضراب اليوم الواحد الذي شهدته مناطق 48 يوم الاثنين 15 تموز/ يوليو الجاري، والتغطية الإعلامية الفلسطينية والعربية التي واصلته والتي واصلتها كانا بالحجم المأمول، فليس أمامه سوى مقارنة تلك التغطية وذلك الحراك مع ردود الأفعال على الهجمات الاستنزائية الدورية التي يقوم بها المستوطنون لمباحث المسجد الأقصى، أو تلك التي تتزامن مع نشر صفح غربية لكاريكاتورات ساخرة من رموز دينية إسلامية.

إضراب اليوم الكامل في النقب والجليل والمنثلت، والتظاهرات الـ15 التي شهدتها مناطق 48 يوم الاثنين، لم تواكب سوى بدوفقات تضامنية، لساعة واحدة في القدس ورام الله. هكذا إذا. وفقات تضامنية! وكأنها قضية خارجية بالنسبة لفلسطينيي الضفة لكي تحتمل التعاطف والتضامن، وليست مسألة قضاء على شعب تمكّنت دولة الاحتلال وحلفاؤها، بمساعدة سخيّة من الأمراض التي تشوه المجتمعات الفلسطينية والعربية، من إيهامه بأن لكل من فئاته مصائبها الخاصة المنغزة عن مصائب الأشقاء في الأطراف الأخرى من الأراضي المحتلة. لكن ما قد يكون الأكثر إيلاما في قضية تهجير أهل النقب تحديدا، هو ما تكشفه من شبهة الإحتقار الطبقي/ العنصري وإن الضمني إزاء بدو تلك المنطقة. فهؤلاء «هجّرد بدو»، وعلى ذلك فقراء! وهم كذلك بطبيعة الحال بالنسبة للعقل الصهيوني الذي ينظر إلى الفلسطينيين والعرب نظرة احتقار عنصرية. وسكان النقب «ممنوعون حتى من تركيب حافلة مياه داخل منازلهم» من دون إذن الإحتلال بحسب رئيس مجلس النقب إبراهيم الوكيل. وهم بدو، فلا يملكون وثائق تثبت ملكية منازلهم وأراضيهم الفالحة. لكنهم لهذه الأسباب، قد يكونون الأقوى. إذ لا يملكون شيئا لكي يخسروه، وقد قاوموا الإحتلال وهدم بيوتهم بشراسة وعناد، وأعادوها إلى مكانها عشرات المرات، ما استوجب مواجهتهم بخطة شاملة منظمة سيدبا تطبقها قريبا إن لم يُمنع الإسرائيليون من ذلك.

أرنست خوري



خضير الحميري - العراق (خاص (السفير العربي))

أرسين لوبين في رمضان القديم

الإقرار بعجزنا عن مواصلة هذا الطقس المتعب في تلك الأعمار الربيّة. في مثل هذه الإختناقات، أجد عادة كتباً في غرفة والدي لشرلوك هولمز وأرسين لوبين وروايات جرجي زيدان التاريخية وروايات أغاثا كريستي البوليسية، فهي فرصة ثمينة لتمضية الأوقات الرمضانية، لا سيما في ظهريتها الملتهبة، وهو نوع من العرب النفسي لتقل الوقت الذي تستشعره على الصائم، ليكون الوقت فينا أكثر ثقلاً وحبطاً، فالضوابط تقضي بالهدوء، والساعات لا تسير كالعتاد وصيف البصرة لا ينتهي كما هو معروف! سيبيد هولاء الأشخاص الغامضون ساعات مريرة تمر بها الطفولة، بمصيبة لا مبرر لها، كما كنا نعتقد، من دون معرفة خوالج الصائم ولا اضطراباتّه الغذائيّة وحاجته الى الماء وتوقف الزمن الصيفي بشكل خاص.

في المدينة يكون النظام هكذا تقريبا: قراءة إجبارية وإغفادات متعالية ونوم اضطرابي وهرب لا مفر من تشكيل صورته عبر القراءة ولا غيرها، والحدق الباطني على هذا الشعر الذي يمنعنا من ممارسة يوميات أكثر جمالاّ ومتعة وانتشاراً مع الأصحاب، ولعبتنا المفضلة كرة القدم الصغيرة المصنوعة من البلاستيك المطاطي المتوفر بكثرة. تلك أيام المدينة الصيفية الضاحجة بالخمول والفقر أيضا، والعرب من واقع طقوسي. ويكون الليل بالتالي هو المفضل لدينا كصغار، نشهد فيه انفراج الأسارير والارتواء والوجوه المتفتحة والزاور وتبادل الأطعمة وروائح المطابخ وأكل الحلوى ولعب الحبيسي... فمثل هذه هي ما شكلت فرادة في الانتباهات

وارد بدر السالم

كاتب من العراق

325 أمر ترحيل صدرت بحق مهاجرين مغاربة «غير شرعيين» هذا العام من بلجيكا، أي بمعدل 14 في المئة من مجمل حالات الترحيل. يلي عدد المغاربة المرشحين من هذه الدولة، الجزائريون، بحسب وزارة الهجرة وإدارة اللجوء البلجيكية.

«إن كانوا علمانيين، فهم بالتأكيد غير ديموقراطيين، والعكس!»

كيف ترى إسرائيل ما يحدث في مصر؟



غلاف «يديעות أخرونوت» - غداة عزل مرسي - العنوان العريض يقول: «ثورة»

كان منطقياً جداً بالنسبة لرجل الشارع في إسرائيل، ومعه النخبة الفكرية، أن يفوز الإخوان المسلمون برئاسة مصر. ما لم يكن منطقياً أن يتور المصريون ضد الإخوان المسلمين.

قبل حوالي عشر سنوات، تم نشر حوار مع المؤرخ بني مورييس في صحيفة هآرتس، عبر فيه عن خوفه أن تقوم في القاهرة ثورة إسلامية تبدأ في إرسال الصواريخ النووية ضد إسرائيل. هذا هو التاريخ الذي يحبه مفكرو الخط الرسمي للدولة: إن انتهى مبارك فسبأتي الإسلاميون. هذا هو الطبيعي والمعتاد. فالشارع الإسرائيلي، ومعه غالبية النخبة، تعوّد طول الوقت على النظر للعالم العربي المحيط من خلال ثنائية «أنظمة أمنية/ شارع إسلامي»، لهذا يبدو واضحاً الارتباك لديه في النظر لثورة أو انتفاضة لا تهم الأسماء هنا. 30 يونيو، ولهذا ربما، تذوب ثنائية اليمين واليسار بقوة في إسرائيل إزاء ما يحدث في مصر. فحتى اليسار الاديكالي لا يستطيع تحديد موقف بدقة، ويبدو مزايدا على الجماهير المصرية. مثلاً، يصدر حزب «دعم» العمالي الاشتراكي بياناً يبدو شديد التوجس مما حدث في 30 يونيو. عنوان بيانه هو «لا للانقلاب العسكري»، ويبدأ بـ: «عناوين صحيفة الأهرام اليومية لا تترك مكاناً للشك: مصر تقف اليوم أمام انقلاب عسكري يدعي أنه جاء استجابة لرغبة الشعب». اللهجة الوصائية ميزت نبرة البيان، والحجة الأقوى فيه هي صندوق الانتخابات: «صحيح أن الإخوان المسلمين لا يمكنهم حكم مصر، ولكن استبدال سلطتهم ينبغي أن يحدث من داخل صندوق الانتخابات وليس من خلال انقلاب عسكري ضد الديمقراطية»، السؤال الذي يطرحه البيان، هو «إن كان حركة تمرد كل تلك القوة في الشارع، فلماذا تخاف من الانتخابات؟». وهكذا يتجاهل البيان مطلب إجراء الانتخابات المبكرة الذي طالبت به المعارضة ورفضه «الإخوان»، لصالح الصيغة الاستثنائية الإسرائيلية: «ينبغي على تمرد أن تعرف أن الطريق للجحيم مزروع بالتوازي الطبيعة»، وهو ما يقربنا للغة اليمين العنصري الذي يتجاهل البعد العلماني في حركة 30-6، كي يركز على البعد «غير الديموقراطي». يعني، إن لم يكن من الممكن اتهام الجماهير العربية بالليل نحو الإسلام السياسي، فلننتههما بعدم الديمقراطية!

سمة لافتة في بيان حزب «دعم» أيضاً، هي تجاهل الحديث عن العلاقات المصرية الإسرائيلية. يمكن لليمين الإسرائيلي أن يعلن انحياز لمريس لكونه قام بالتنسيق مع إسرائيل في غزة وسيناء ونفذ بنود اتفاقية كاسب ديفيد، ولكن لا يمكن لليسار، خاصة ذلك الأكثر اديكاليه منه، ونعني هنا اليسار الذي يضم عرباً ويهوداً، أن يفعل هذا. لا يمكنه الإشارة إلى كاسب ديفيد، لا باللسان ولا بالإيجاب. لنطالع هذه الفقرة من البيان: «شعار الإسلام هو الحل ليس له مستقبل. عام من تولي مرسي الحكم كشف أن الإسلام السياسي لا يختلف كثيراً عن النظام السابق، من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية، والعلاقات مع صندوق النقد الدولي، ورفض الاعتراف بالنتخابات الههنية المستقلة، ورفض دعم مطالب العمال». انتهىوا هنا للمسكوت عنه!

في فقرات من هذا النوع حيث يحاول الكاتب التأكيد على أوجه التشابه بين التوليبرالية الية والإسلام السياسي، بين نظام مرسي ونظام مبارك، يتم الحديث عن العلاقات بالولايات المتحدة وإسرائيل. ولكن هنا تم تجنب الموضوع تماماً، في هذه النقطة كان اليمين أكثر شجاعة: نحن نؤيد مرسي لأنه يحافظ لنا على علاقتنا بمصر، ويعطيها الشرعية الشعبية أيضاً.

أربعة أسباب لدعم مرسي»، هذا هو عنوان مقال المحلل السياسي أنشيل فيفر في صحيفة «هآرتس». وأسبابه التي يجب يقنضها على إسرائيل أن تدعم محمد مرسي هي على التوالي: أنه تحت قيادة مرسي، وافق الإخوان المسلمون، وهي الحركة الشعبية المتخبة ديموقراطياً، على اتفاقية كاسب ديفيد. صحيح أنهم تحدثوا عن إمكانية تعديل الاتفاقية، ولكنهم في الواقع نفذوها، بالضببط مثل نظام مبارك من قبلهم، بل وقد تحسنت الأوضاع في فترة حكم مرسي عما قبلها. والسبب الثاني هو إمكانية سيطرة الإخوان المسلمين على تحركات حركة حماس ضد إسرائيل، وعدم اعتراض حكومة مرسي على تنفيذ عملية «عمود السحاب»، التي نفذتها إسرائيل في غزة، مما أدى لوقف إطلاق نار سريع في نصف السنة الأخيرة، حافظت عليه حماس بصرامة. والسبب الثالث برأي الكاتب هو موضوع الانفاق وافتتاح حكومة مرسي للجيش المصري بالعمل ضد نشاط القاعدة

وإضافة للتحليلات الإجرائية، والأسئلة عن الثورة في مقابل الانقلاب العسكري، وعن مرسي في مقابل السلطة الآتية بعده، فإن البيض يلتفت لأشياء أكثر عمقا، تتعلق بالجنتمع ووقو الجماهير. يقرن عوفيد يحزقشلي، الذي كان سكرتير الحكومة في فترة إيهود أولمرت، بين الجماهير في البلدين، وبين حدثي عزل محمد مرسي والاحتجاجات على أزمة الإسكان التي حدثت عام 2011 بإسرائيل: «نحن في الغالب نفكر في أنه يخدم مصالحنا أكثر».

وإضافة للتحليلات الإجرائية، والأسئلة عن الثورة في مقابل الانقلاب العسكري، وعن مرسي في مقابل السلطة الآتية بعده، فإن البيض يلتفت لأشياء أكثر عمقا، تتعلق بالجنتمع ووقو الجماهير. يقرن عوفيد يحزقشلي، الذي كان سكرتير الحكومة في فترة إيهود أولمرت، بين الجماهير في البلدين، وبين حدثي عزل محمد مرسي والاحتجاجات على أزمة الإسكان التي حدثت عام 2011 بإسرائيل: «نحن في الغالب نفكر في أنه يخدم مصالحنا أكثر».

نفسا كدولة غربية ديموقراطية ومستنيرة، وننظر إلى المصريين بتعال، كأننا نقول: هذا لا يمكنه الحدوث عندنا». ويواصل: «الجماهير المصرية تختلف عنا: هي تتجمع وتخرج للتظاهر بدون هدنة، ليس فقط في الفيسبوك، بل أحيانا من خلال الاتجار لاستفزازات وأعمال عنيفة. إنها أصبحت مصر داخل المسكر المادي لإيران في المنطقة. كان هذا واحداً من المحللين القلائل الذين عبروا بلا ارتباك عن موقفهم وانحيازهم إزاء ما يحدث في مصر. الموضوع بالنسبة له شديد البساطة: نحن ندعم مرسي لأنه يخدم مصالحنا أكثر».

وإضافة للتحليلات الإجرائية، والأسئلة عن الثورة في مقابل الانقلاب العسكري، وعن مرسي في مقابل السلطة الآتية بعده، فإن البيض يلتفت لأشياء أكثر عمقا، تتعلق بالجنتمع ووقو الجماهير. يقرن عوفيد يحزقشلي، الذي كان سكرتير الحكومة في فترة إيهود أولمرت، بين الجماهير في البلدين، وبين حدثي عزل محمد مرسي والاحتجاجات على أزمة الإسكان التي حدثت عام 2011 بإسرائيل: «نحن في الغالب نفكر في أنه يخدم مصالحنا أكثر».

بالعيش في دولة لا تقوم بوظائفها، ويمكن فيها أي متظاهر جاهل وعنيف أن يفرض إرادته؟ نحن نستحق هذا أيضاً». ويقول آخر، في تماه - يميني الطابع - مع بيان حزب «دعم» اليساري المشار إليه سابقاً: «في الدول الغربية لا يتم نقل السلطة في الميادين وإنما عبر صناديق الانتخابات، وليس هذا ما يحدث في ليبيا وتونس ومصر».

تعليقات القراء كثيراً ما تكون كاشفة لمزاج الجمهور في إسرائيل. تحكي ليات كوزما عن قصة الثلاث سنوات الأخيرة في مصر، بين مبارك والجلس العسكري وحكم مرسي، فيرد عليها أحدهم: «المصريون ليسوا جاهزين للديمقراطية بعد، ما يحتاجونه فقط هو حكم مركزي قوي».

الكاتب بني تيسفرا، وهو رئيس المحقق الثقافي في هآرتس، له قصة أخرى، يصدق عليه بقوة وصف «الكاتب المثير للجدل». يكتب كثيراً عن القاهرة، ويروها أكثر، ويقارن القاهرة، كصديرة أوروبية الطابع وراقية، بتل أبيب الكئيبة؛ وأعلن مرة عن تمنيه أن يدخل في دين الإسلام. هو ليس مهرجاً. فكثيراً ما يدعم آراءه الغربية بتحليلات شديدة المنطقية، بالإضافة إلى حديثه في إدانة العنصرية الإسرائيلية المتمركزة حول ذاتها، ولكنه عندما يكتب عن شأن سياسي في مصر، يبدو كما لو كانت معرفته عن مصر مستفظة، كمن يقرأ ولا يزرورها مثلاً. يحلل ما حدث في مصر بوصفه عرضاً نفسياً ليس أكثر، لا يتصل بأسباب حقيقية: «احتياج الشعب المصري لتحطيم أي قيد أصبح جزءاً من المرز النفسي ذاته، وليس له أدنى ارتباط بالحسابات السياسية الجادة، لهذا فضحك جداً مشاهدة هؤلاء المحللين الإسرائيليين المحمصين للشؤون العربية، وهم مدعوون إلى استوديوهات التلفزيون لتحليل الوضع في مصر. الوضع في مصر ليس أمراً ينبغي على المحللين السياسيين الاهتمام به، وإنما أخطاء النفس وعلماء النفس». يبدو تيسفرا شديد الاحتقار لحركة الجماهير المصرية.

ولكن ليس هذا ما يستفز قراءه، ما يستفزهم بشدة هو دفاعه عن مرسي: «بعد انتهاء كل شيء، فترئس مصر الحالي ليس أسوأ على مصر مما هو بنيايمين نتنياهو مثلاً بالنسبة لإسرائيل». يعترض أحد القراء على هذا التشبيه، ولكنه يبدو سعيداً بأن تيسفرا: «في سائر المقال لا يتوقف عن شرح كيف أنهم - المصريون - ظالمون، يفكرون كقطيع غنم، وما إلى ذلك». يقول القارئ: «أنفق مع النصف الثاني من الكلام، واتهم فوراً الفارق بين زعيم تم انتخابه بطريقة ديموقراطية من قبل شعب ذكي مدرب على الديمقراطية، وبين زعيم تم اختياره بطريقة تبدو ديموقراطية على يد شعب فاشل يفكر مثل القطيع ولا يعرف ما هي الديمقراطية!»: هذا التعليق كاشف جداً، لأنه يدل على نوع آخر من اليمين، اليمين الراقص لمريسي من منطلق رفضه الثقافي للشعوب العربية نفسها، وتشكيكه في نتائج صندوق الانتخابات بالنسبة لشعب وغير جاهز للديمقراطية».

هكذا يمكننا أن نرى حجتين متناقضتين ظاهرياً. مثل «المصريون غير جاهزين للديمقراطية، ولهذا اختاروا مرسي»، و«المصريون غير جاهزين للديمقراطية، ولهذا خلعوا مرسي»، يُستخدَمان من أجل دعم الخطاب نفسه، ويتم استخدامهما عند اليمين واليسار، وكان المصريين في جميع الأحوال عليهم السير على كتيب تعليمات موحد، قائم من الخارج، ولا يمكن تحليل حركتهم بدون الاستعانة بهذا الكتيب.

عودة لارتباك الذي بدأنا به. هذا الارتباك تلخصه بقوة عبارة واحدة قالها أحد العلقين على واحد من المقالات التي تحدثت عن مصر وتفاضل بين الإخوان المسلمين والثوار ضدهم. يقول التعليق الحزين: «أما نحن فلا نحنأ أحد، لا الإخوان المسلمون ولا الثوار!». صحيح، ما أصعب أن يختار المواطن الإسرائيلي بين قوتين، تعلم طول عمره، عبر المدرسة والإعلام، أنهما شيء واحد اسمه «العرب المحيطين بنا الذين يكرهونا جميعاً!».

نائل الطوخي
روائي ومترجم من مصر
naelalotukhy.blogspot.com

مدينة الزرقاء الأردنية: سيرة فشل

لم تشهد مدينة أردنية التسارع العمراني والديموغرافي الذي شهدته مدينة الزرقاء (20 كيلومتراً شمال شرقي عمان)، التي تأسست في العام 1903. كانت يوحما قرية صغيرة تسكنها 66 عائلة من أصول شيشانية، فأصبحت في تسعينيات القرن الماضي مدينة مليونية. وها هي، بعد أن كانت تتكون من بضعة بيوت ضالعة على مساحة لا تتجاوز 60 كيلومتراً مربعاً، تعج اليوم بمئات الآلاف منها، وتزيد يوماً.

حتى أربعينيات القرن الماضي، حافظت المدينة على نمونها الطبيعي، فيقي عدد سكانها يلامس الألف نسمة، كما يقول عبد الرحمن منيف في روايته «سيرة مدينة»، وكانت أغليبتهم من العاملين في سكة حديد الحجاز التي تأسست عام 1900، وبعضهم من العاملين في الزراعة. اليوم، بحسب الإحصائيات الرسمية، يشكل سكان المدينة ما نسبته 15.7 في المئة من عدد سكان الأردن البالغ عددهم وفق أرحج الإحصائيات، ستة ملايين نسمة. حسب الإحصائيات، فالكثافة السكانية في المدينة تبلغ 205 أشخاص لكل كيلومتر مربع، في بلد يبلغ معدل الكثافة السكانية فيه 60 شخصاً لكل كيلومتر مربع.

المياه أولاً

التسارع العمراني والديموغرافي لم يأت عبثاً. في البداية، استقطبت وفرة المياه التجمعات البشرية لتأسيس المدينة التي يشقها نهر الزرقاء، ثالث أكبر مجرى مائي في جنوب بلاد الشام بعد نهر الأردن واليرموك.

هو النهر الذي تحدث عنه منيف في «سيرة مدينة»، فقال «السمك في هذا النهر أمواج وراء أمواج. قد يكون صغيراً، لكن الكبير ليس قليلاً. وفي محاولة لأن يتحول الصيادون الصغار إلى صيادين كبار، كانوا يستعملون في الصيد أنواعاً مختلفة من الديناميت». كان نهرأ قبل أن يخفض منسوبه تدريجياً حتى أصبح معدداً بالجفاف الآن، وكانت المدينة التي اشتق اسمها من مقلعين في اللغة الأكادية صا (زار) وتعني مياه و(كي)، وتعني منطقة، تفيض مياهها عن حاجة قاطناتها قبل أن يفيض البشر وتصحب مياهها عاجزة عن تلبية الزيادة المطردة.

الجوء والنزوح ثالثاً

كان للمدينة نصيب متواضع من موجة اللجوء الفلسطيني الذي أعقب نكبة 1948، ولكنه لم يؤثر على الواقع العمراني والديموغرافي للمدينة مقارنة بالآخر الذي أحدثه نصيبها من موجة النزوح الفلسطيني بعد حرب 1967، هو العام الفارق في تاريخ المدينة، لجهة المفطرة السكانية التي فرضت زيادة في الطلب على السكن والخدمات العامة كالتعليم والصحة والعمل، فشهدت الزرقاء نهوضاً

محمد الفضيلات
صحافي من الأردن

عصر الحب

وقدم بذراعاك الرهيبة الظلام الذي أحاط بنا، الشرطة ردت ثأرها مما حدث لها في 28 يناير. كيف ردت ثأرها؟ هل انتقمت ممن حرق الأقسام؟ تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع.

الناس في تظاهرات 30 يونيو»

تحب الجيش، هذه حقيقة، ينظرون للطائرات ويصفرون ويهتفون «انزل يا سيسبي»، يا سيسبي تجلّ على عبادك، قامت الطائرات العسكرية باستعراض بالقلوب والدخان الملون للناس في الشارع

عشرة ملايين دولار استثمرها الفلسطيني لطلال أبو غزالة (75 عاماً) بهدف تعزيز اللغة العربية في فضاء الإنترنت، حيث أن 0.9 في المئة من المواقع الإلكترونية هي بالعربية، على الرغم من أن واحداً من بين كل عشرين شخصاً في العالم يتحدث العربية. والمشروع هو عبارة عن إطلاق موسوعة «تاجيبديا» Tagipedia الإلكترونية العربية الحرة بمليون صفحة.

التعليم قضية

أن تدرس في جامعة إسرائيلية يعني الكثير: يعني أن تتعلم «فلسفة الأخلاق» من محاضر يجاهر بضرورة تهجيرك من أرضك، أن تتعلم في علم الاجتماع مثلاً عن فريتك وعائلتك ونفسك كنموذج للمجتمعات المتخلفة. أن تدرس تاريخاً يقول إن شعبيك «باع اليهود الأرض أو فضل الهجرة من تلقاء نفسه»، أن تدرس الجغرافيا أو الهندسة المعمارية في خرائط لا ترى وجود عشرات الألاف من شعبيك. أن تكون شريكاً في حوار «بناء» يقارن بين النظم الإدارية لجهاز دولة قائمة على نفيك، وأن تناقش إن كانت العدالة قيمة كونية أم خاضعة للمكان والزمان، مع قاض في محكمة عسكرية. هذا جزءاً اعتيادياً من يوميات الطلاب الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة العام 1948.

أستاذ الفلسفة شطابنتيس

يتعلم الفلسطينيون في الجامعات الإسرائيلية، لأن ذلك واقعاً فرض عليهم تاريخياً، من جملة ما فرضه الاستعمار بعد النكبة، شرطاً لبقائهم في أرضهم. وأن تكون منهم يعني أن تكذب في الامتحانات والواجبات الجامعة ما يريد الحاكم القوي أن يسمعه وليس ما تفكر به في الحقيقة. هذه ضرورة يضعها الطالب الفلسطيني حلقة في أذنه في مرحلة مبكرة في المدرسة، من يقيّمك في النهاية لتحصل على شهادة تؤمن مستقبلك، هي امتحانات حكومية إسرائيلية، عليك أن تكذب ما يريدون، خاصة بالكتابة التعبيرية والتاريخ والجغرافيا وطبعاً... «دروس المواطنة». هكذا تتحول الدراسة بالأساس إلى تعلم كيف يجب أن تفكر، كيف يريدك الجهاز الإسرائيلي أن تفكر.

أن تتعلم في جامعة إسرائيلية يعني أيضاً أن تدرس الفنون الجميلة مع «زملاء» بالزّي والبسطار العسكري للاحتلال، وأن تحقد على محاضر في الكيمياء لجرد أنه حصل على جائزة نوبل، ويخض بها وجه إسرائيل. أما محاضرات الفلسفة حول وجود الخالق أو عدمه، فقد يقدمها لك محاضر (اسمه شطابنتيس) سيتحول بعد سنوات قليلة إلى وزير للشؤون الإسرائيلية والمخبر اتية في حكومة الاحتلال، وهي وزارة مسؤولة بشكل مباشر عن الملف النووي الإيراني وخارطة التسليح في المنطقة، وهي مسؤولة في الوقت ذاته عن «الخطر الديموغرافي»، وهو ملف يعني بالأساس بشؤون تحديد النسل والحب والزواج والحمل عند الفلسطينيين. ومثل الجميع، سيهاجمه المحاضر (والوزير المستقبلي) بشراسة خلال محاضراته. يقول الفيلسوف الألماني هايديجر لوظيفة أكاديمية مرموقة في الدولة النازية.

الجامعة لا تجمعنا

يعتبر الصحاينة جيشهم «بوقة للصهر» بحيث أن

على هامش المعرفة:

فلسطينيون في الجامعات الإسرائيلية

الخدمة العسكرية توحد اليهود المهاجرين إلى فلسطين من دول ومجتمعات مختلفة في قومية يهودية واحدة، الجيوش في كل الدول الوطنية تقوم بمهمة بناء الوعي بالانتماء للدولة ومؤسساتها، لكن الصحاينة بحاجة أمس بكثير لهذا العامل، لأن مشروعه أساساً يعتمد على إنتاج الشعب اليهودي، اختراعه واستئصال يهود الديانة من مكانهم الطبيعي كجزء من شعوب العالم الأخرى (بما فيها الشعوب العربية)، لبناء كيان استعماري في فلسطين. من جهة أخرى، وفي بلاد كثيرة، تقوم الأكاديمية بهذه المهمة، وما تختلف فيه الجامعة عن الجيش هي أن عملية الصهر فيها لا تتم عبر العسكرية وأخوة الدم والسلاح، ولا الطاعة العمياء للأوامر، بل تقوم على الصهر عن طريق التخلص من الشحنات الاجتماعية الرجعية في قالب حوار فكري وإنتاج علمي ومعرفي، عن طريق تداول المعرفة وتحكيم الخلفية الاجتماعية لبنية حوار فيه قدر جدي من الموضوعية.

من هذه النقطة يأتي الافتراض بأن التعليم الجامعي مرحلة هامة جداً في تكوين الهوية الوطنية الجامعة للفلسطينيين في الداخل، برغم أننا في بلد مساحته صغيرة جداً، إلا أننا نفتق أحياناً أمام حالات تكاد لا تصدق: طلاب مسلمون لم يلتقوا بطلاب مسيحيين قبل دخولهم إلى الجامعة، أو طلاب من الشمال لم يلتقوا بطلاب من منطقة المثلث (وسط فلسطين)، شرائح اجتماعية مختلفة لم تتواصل من قبل. وسبق أن كتب العديد من النشطاء السياسيين في الجامعات حول هذا الجانب، والموقف هو تعاملهم مع ذلك بشيء من الإيجابية.

فما معنى أن يلتقي الفلسطيني بابن شعبه لأول مرة (وهم يبعدون عن بعضهم البعض ساعة سفر بالمدل) في مساحة حكومية بجهاز الدولة الصهيونية؟ وهل يؤدي هذا اللقاء إلى صهر حقيقي؟

بالحقيقة لا يحدث ذلك. الطلاب الفلسطينيون في الجامعات الإسرائيلية في حالة صراع جذي مع المركز الصهيوني، مع محور الحياة الجامعية الصهيوني، هم ليسوا جزءاً من الخطاب أو الحوار الأكاديمي، ولا الإنتاج المعرفي. اغترابهم عن المكان هو سبب الحالة النفسية والاجتماعية. الخطاب صهيوني بامتياز. إسرائيل بالنسبة للجامعة جزء من الطبيعة القهومة ضمناً، وتتفق على مسلمات كثيرة لا مكان للطلاب الفلسطيني في مساحتها. هذا الواقع يطرد الطالب الفلسطيني من مركز الإنتاج المعرفي إلى هامش التلقين والحفظ، فتتحول الجامعة إلى مكان تصبم فيه على ما يقول المحاضر بلكنته الاستعمارية المتعالية، وانتهى الأمر.

هذا التهميش يحيل الطلاب العرب إلى التمرس، تتحول الجامعة إلى حيز تذهب إليه لفضاء حاجة واضحة: الحصول على شهادة. فجامعة حيفا القريبة من قرى الجليل تشكل مثلاً وضحاً على هذا الوضع، حيث يذهب مئات الطلاب يومياً من وإلى قراهم، أو أمثلة أخرى ينحصر الطلاب فيها داخل مساكن الطلبة، أو في تجمعات سكنية محددة،

رائدة سعادة / فلسطين

حلم ..



يلتزمون بها وتتمحور حياتهم الجامعية حولها من دون تواصل (بشكل عام) مع أي حيز مدني محيط، لأن المدينة غابت وخضعت وهودت أيضاً. لكن هل يؤدي هذا التمرس إلى تجمعات ذات هوية وطنية؟ أمداً. فإن شدة التفرغ (القسري) من الإسرائيلي النقيض تتحول إلى ابتعاد عن المختلف حتى وإن كان من أبناء شعبك. لذا فنحن نرى تراجعاً إلى دوائر اجتماعية ضيقة مرتبطة بهوية جغرافية أو دينية، وبأفضل الأحوال تكون مرتبطة بهوية حزبية سياسية.

أكاديميا من دون إنتاج

من غير الممكن أن يتحول الفلسطينيون في الجامعات الإسرائيلية إلى الإنتاج الأكاديمي، ولا التأخير على الخطاب بشكل جدي، وحتى إن فعلوا فمهم يفعلون هذا كجزء من المنظمة القائمة، ويبقى ذلك خاضعاً لتنازلات شخصية ومبدئية، بل وأخلاقية كثيرة، تمكن الصهيوني من قبولهم، وهو بالتالي يستفيد منهم ومن تخصصهم في مواقع مرموقة لتلميح وجه المؤسسة الإسرائيلية.

إذا ما فسنا اندماج الفلسطينيين في الإنتاج الأكاديمي من خلال نسبتهم في درجات التعليم العليا، نرى أنهم يشكلون 11 في المئة من طلاب الكالوريوس، برغم أن الفلسطينيين أصبحوا بعد النكبة 20 في المئة من سكان المناطق المحتلة العام 1948. ولكن الأهم أن هذه النسبة في الكالوريوس تعبط إلى 7 في المئة من طلاب الماجستير، وتعبط إلى 3 في المئة من طلاب الدكتوراه، أما بين الحاضرين والأساتذة الجامعيين (الذي يعتمد عليهم البحث العلمي والإنتاج الأكاديمي) للفلسطينيون 2 في المئة فقط.

حذر بئاً

لا مكان لفلسطيني الداخل في الأكاديمية الإسرائيلية، وجودنا فيها اضطراب وفرض، وحاجة لشهادة جامعية تزيد فرص القبول لأماكن العمل وتحسين ظروف المعيشة للخروج من دوامات الفقر والتهميش.

نعيش على هامش الأكاديمية. نراقب ما يحدث من بعيد، لكن المعركة الحقيقية هي في أن يطوّر الطالب قدرة على انتزاع المعرفة وتجربتها من صهيونيتها، تلقى وانتقاء ما يجب من معلومات ومصادر وتوجهات مع الحذر من الوقوع في الأنسلة. وينجح بهذا الكثير من الطلاب الذين يستمرون في العطاء من أجل شعبهم، في حالات كثيرة، يتحول هذا الحذر بنفسه إلى موقف معرفي وتوجه ثقافي يقود الكثير من الفلسطينيين إلى إنتاج أكاديمي وثقافي جذي خارج نطاق الحالة الاستعمارية، وفي سياق وطني خالص.

مجد كيال

كاتب فلسطيني من حيفا

.. بألف كلمة



(سعيد خطيب. أ. ف. ب)



(أحمد الربيعي. أ. ف. ب)



حز بغداد: صانبر مياه في الشارع

الصبر يا صابر.. في الجزائر

«شعرت بغضب يتناوب، ساعة من الانتظار والتسكع وقراءة ما لا يُقرأ.. إحباط، قلق، تعب، إرهاق.. وقت لا معنى له، حياة عبثية بامتياز.. نظرت إلى الساعة، كانت تشير إلى الواحدة زوالاً ودقائق، قصدت مقر الإدارة لاستخراج بعض الوثائق، دخلت المبني، استقبلتني قاعة كبيرة لم تستطع احتواء العدد الكبير من الناس الذين شكلوا طوابير كثيرة أمام كل مكتب. شعرت بأن الجميع يعاني مرضاً ما، سمرة الوجه وتجاعيده تخفي حكايات وأحداثاً كثيرة، كآبة صامتة تختم على الجميع، من حين لآخر تسمع صوتاً عالياً يصدر من المكتب، إنه شجار بين الموظف وأحد المواطنين لسبب أو لآخر، وبطريقة هستيرية يقوم الموظف بخلق الباب ويقسم ألا يضيف دقيقة بعده الإدارة. لقد ملّ من انتقادات المواطنين، لقد كره العمل ويرغب في الهروب إلى حيث ليست أدري. وبعد فترة يعود إلى مكتبه ليستأنف عمله، يعود الطابور إلى التملل والحركة، يخرج البعض من المكتب كأنه خرج من قبره، جثة واقفة، تتمتم كلاماً غير مفهوم (...)

أمسك بنسخة من عقد ميلادي ونسخة أخرى من بطاقتي الوطنية، ثم راح يدخل بعض البيانات على الحاسوب، نظر إلي وقال: لقبك Saber، ماذا يقابله باللغة العربية صبر أم صابر؟ قلت: صابر، قال: حسب اللقب المدون في السجل الخاص بالولادات، لقب والدك هو: صبر، أنت مضطر لتصحيحه عند وكيل الجمهورية بمسقط رأس والدك.»

من المدونة الجزائرية «عثمان آيت مهدي» (11 يوليو 2013)
http://eloustachothmane.blogspot.com/

الدروس الدينية في العراق

«لا أعتقد أن أي مدرسة عراقية تعلم الدين أفضل مما يتعلمه الطالب في البيت والمسجد والجامع والحسينية (...). لذا يجب أن يتم تعليم التلاميذ حتى مرحلة السادس ابتدائي قراءة القرآن فحسب، ويترك باقي التعليم الديني للبيت والمؤسسات الدينية خارج إطار المدرسة، فأنا درست في المدارس العراقية في العهد البائد، ولم تؤثر في مناهج المدارس في الجانب الديني والمعتدي كثيراً، وكل ما أثر في هو ما كنت أسمعه من مواعظ وحكم وعبر أو آراء من كتب دينية، وما أسمعه من نقاشات في البيت أو في المنقبات الدينية في الجوامع والمحاضرات الإذاعية، وكثير منها كان محظوراً في زمن الطاغية، لذا يُفضل تقليص ما يتم الاختلاف فيه كاعتقاد فكري وديني، خصوصاً بين الطلبة في المدارس المتوسطة والإعدادية لكي نتخلص من معضلة وطنية تستنزف الكثير الكثير من ثروات البلد، إضافة إلى أنها تسبب الكثير من الخلافات العلنية التي يمكن أن نتجنبها بأن نتركها كحرية للعوائل في تعليم أبنائهم وتنقيحهم دينياً في كل محافظات العراق. إذاً يجب استبدال درس التربية الدينية بدرس آخر، وهو الثقافة الدينية، كي يتعلم الطالب ثقافة عامة ما هي أهم الأديان في بلده من دون المساس بأي منها، بالتالي، يجب أن تُطرح الأديان من وجهة نظر ثقافية لا معتقدية.»

من مدونة «المدونون العرب» (16 تموز/ يوليو 2013)
http://mudwen.com/

مدونات

«الراب» العربي

«حسناً، سندخل في الموضوع مباشرة: هناك مغنو «راب» عرب قدموا في الفترة الأخيرة تنوعيات جديدة لهذا الفن «واسع القباضة»، إحدى تلك التجارب على سبيل المثال تقديم «فري ستايل» لتنوعيات كلمات أغاني سابقة لهم بصياغة آلة الغيتار والعود.. نعرض هنا عدداً من التجارب المميزة في هذا الاطار: «مسلم» واحد من أهم مغني «الراب» في المنطقة، الذي يحلو للجميع ربطه بالأسطوري «توباك».. الذي استحق عن جدارة لقب «لسان الشعب»، وهو بائع الملابس في مدينة طنجة الذي تحول إلى أسطورة مدينته وبلاده. ثم هناك «صلاح» الرابر المغربي المهاجر الي هولندا، الذي ارتبطت به العديد من القضايا والشائعات القوية التي صمد أمامها باستمراريتها في تقديم ما يراه صحيحاً. وأشهر قضايا صلاح أثيرت عندما تم تصويره على أنه «مسلم إرهابي» في الفيلم الهولندي الشهير «فتنة».

أما مغنو «الراب» من تونس، فهم حالياً (تحديداً منذ سقوط النظام السابق) «نجوم الساحة». وكان قبلة ما انفجرت في الحياة التونسية مع الثورة، تهاجم الجميع حكومة ومعارضة. وأبرز ثلاثة مغني «راب» في تونس حالياً هم عبد السلام فينكيس، وفايا وكلي. وهؤلاء الثلاثة يقدمون أسلوب «فري ستايل» في الغناء، بصحابة موسيقي تونسي يدعى «بلاندير مان».

من مدونة «جيمي هود» (11 حزيران/ يونيو 2013)
www.gemyhood.com